كلام البطريرك الذي يزعج «حزب الله»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في ظلّ الفراغ السياسي الذي يغرق فيه لبنان، بدأت تظهر تغييرات كبيرة على الخارطة السياسية للبلد. في أساس هذه التغييرات كلام البطريرك الماروني بشارة الراعي الذي بدأ يثير انزعاجا شديدا لدى "حزب الله". لا يناسب الحزب سوى زيادة رقعة الفراغ وتعميقه أكثر كونه المستفيد الأول منه.

يعود ذلك إلى أنّ الفراغ هو أكثر ما يخدم "حزب الله" الذي جعل من لبنان بلدا يموت موتا سعيدا وهانئا وسريعا، لولا بعض العذاب، في ظلّ شعارات فارغة من نوع الصلاة في القدس قريبا. عمليا، يموت لبنان سياسيا واقتصاديا وحضاريا وثقافيا في العهد الذي بدأ يوم الواحد والثلاثين من تشرين الأوّل – أكتوبر 2016 يوم انتخاب ميشال عون رئيسا للجمهورية.

بدأت تظهر تغييرات كبيرة على الخارطة السياسية اللبنانية بعدما عادت الكنيسة المارونية إلى ممارسة دورها، أقلّه من أجل ملء الفراغ القائم وتقديم منطق ذي حجج قويّة متماسكة في خدمة لبنان. يواجه منطق البطريرك الماروني منطق "حزب الله" الذي لا هدف واضحا له سوى تحويل لبنان ورقة في خدمة السياسة الإيرانية بغض النظرّ عمّا يحل بالمواطن اللبناني العادي ومستقبل أولاده.

لا يمرّ أسبوع، منذ مطلع تمّوز – يوليو الماضي، إلا ويصدر كلام كبير عن البطريرك بشارة الراعي. تكمن أهمّية هذا الكلام، الذي أساسه فكرة "حياد" البلد، في أنّه تحوّل كلام الأكثرية الساحقة للمسيحيين في لبنان، إضافة إلى أنه كلام أكثرية أهل السنّة والدروز، فضلا عن قسم لا بأس به من الشيعة، طبعا.

بدأ كلام البطريرك الماروني يزعج "حزب الله". ظهر ذلك بوضوح من خلال الحملات التي باشرت وسائل الإعلام التابعة للحزب تشنّها على بشارة الراعي. كما العادة، لا يجد "حزب لله" ما يدافع به عن نفسه سوى اتهام البطريرك الماروني بأنّه يسير في الخطّ الإسرائيلي. هذه تهمة سهلة من النوع الذي أكل عليه الدهر وشرب، لكنّها تعكس مدى ضعف "حزب الله" في مواجهة المنطق الذي يتحدّث به رأس الكنيسة المارونية في لبنان.

منطق البطريرك الماروني بشارة الراعي يواجه منطق «حزب الله» الذي لا هدف واضحا له سوى تحويل لبنان إلى ورقة في خدمة السياسة الإيرانية

ذهب البطريرك الراعي إلى الردّ على الحزب. ليس لدى بشارة الراعي ما يخجل به، خصوصا بعدما ثبت أن كلّ كلمة يقولها، إنّما هي كلمة المسيحيين والمسلمين الذين يرفضون أن يكون لبنان بلدا تابعا ومخازن أسلحة ومتفجرات. أكثر من ذلك، يتجرّأ البطريرك على الذهاب إلى حيث لا يتجرّأ الذهاب إليه كبار المسؤولين اللبنانيين، في مقدّمهم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء المستقيل حسّان دياب.

يتجرّأ على الاختلاط بالناس وتفقد أحوالهم في الأحياء البيروتية المنكوبة منذ تفجير ميناء العاصمة في الرابع من آب – أغسطس الجاري. يتجرّأ على القول من حيّ الجمّيزة "لم نتعوّد على أن نكون عملاء لأحد، بل البطريركية تقول الحقيقة البيضاء الواضحة ولسنا مرتبطين بأي أحد في الداخل والخارج وخلاص اللبنانيين الوحيد هو لبنان الحياد".

يتساءل: "هل يختلف إثنان على أنّ السلاح متفلت في لبنان؟ الحلّ أن نقول للدولة: لِمي الأسلحة. لا يوجد سيادة للدولة في لبنان وكل حزب يفتح دولة على حسابه، هذه ليست دولة بل دويلات ودويلات هل سنكمل بهذا الانتحار؟".

لم يسمّ البطريرك "حزب الله" بالاسم، لكنّ كل لبناني يعرف أنّ لا حزب مسلّحا آخر في لبنان غير "حزب الله" ولا مخازن سلاح ومتفجرات في لبنان غير لدى "حزب الله".

هذا كلام لا موارية فيه يصدر عن البطريرك قبل أيّام قليلة من عودة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى بيروت ليكون حاضرا في ذكرى مئوية "لبنان الكبير"، أي لبنان بحدوده الحالية الذي أعلن عن قيامه في أوّل أيلول – سبتمبر 1920. ليس لبنان الكبير سوى ثمرة تفاهم بين سلطات الانتداب الفرنسية التي كانت تسيطر على سوريا ولبنان من جهة والبطريرك الماروني، وقتذاك، إلياس الحويّك من جهة أخرى.

رفض البطريرك الحويّك أن تقتصر خارطة لبنان على منطقة جبل لبنان.

في غياب قدرة "عهد حزب الله"، على رأسه ميشال عون وصهره جبران باسيل رئيس "التيّار الوطني الحر"، على تشكيل حكومة لبنانية جامعة، كما طالب ماكرون الذي زار بيروت مباشرة بعد كارثة تفجير الميناء، لم يعد يوجد غير منطق واحد في لبنان. هذا المنطق هو منطق البطريرك. تكمن أهمّية هذا المنطق في أنّه نزع الغطاء المسيحي عن سلاح "حزب الله". هناك تراجع قويّ لميشال عون وجبران باسيل في الشارع المسيحي. يعود ذلك إلى أن المسيحيين بدأوا يكتشفون ما هو "حزب الله" وما الثمن الذي عليهم دفعه في حال استمرّوا في توفير غطاء لهذا السلاح، وهو ما يفعله ميشال عون منذ العام 2006 بغية الوصول إلى موقع رئيس الجمهورية.

أخيرا، بات للدولة اللبنانية منطق. مثل هذا المنطق الذي يمكن تسويقه داخليا وعربيا ودوليا يلتقي مع مصلحة لبنان واللبنانيين. الأكيد أن هذا المنطق لا يتفق مع منطق "حزب الله" الذي يمتلك أجندة خاصة به منذ أعلن عن تأسيسه. لعلّ أكثر ما يزعج "حزب الله" كون هذا المنطق متكاملا. زاد هذا المنطق تماسكا، خصوصا بعد الضربة التي تلقتها بيروت قبل أقلّ من شهر. سيكتشف الرئيس الفرنسي، الذي لن يكون لديه ما يقوله للمسؤولين اللبنانيين سوى أنّهم ليسوا في مستوى المرحلة والكارثة، أنّ لا فائدة من التحدث مع أناس لا منطق لديهم. كيف يمكن لأشخاص لا يمتلكون أي منطق من أيّ نوع، باستثناء الوصول إلى رئاسة الجمهورية بأيّ ثمن كان، بناء دولة والقيام بإصلاحات في لبنان؟

هناك قائمة طويلة بالأسئلة التي يطرحها اللبنانيون العاديون هذه الأيّام. لكن السؤال الذي سيطرح نفسه بقوّة في الأسابيع المقبلة كيف سيردّ "حزب الله"، ومن خلفه إيران، على البطريرك الماروني وطرحه السياسي الذي يعني بين ما يعنيه تموضعا جديدا للبنان. هل يكتفي "حزب الله" بردود عبر وسائل إعلامية تابعة له، لم تتردّد في تخوين رأس الكنيسة المارونية، أم يذهب إلى أبعد من ذلك في التعاطي مع البطريرك وخسارته الغطاء المسيحي لسلاحه.

مثل هذا التموضع القائم على الحياد يسمح للبنان باستعادة عافيته يوما بدل أن يكون مجرّد ورقة إيرانية ولعبة سياسية لا أفق لها. لا أفق لمثل هذه اللعبة لسبب في غاية البساطة. يعود السبب إلى أن إيران دولة مفلسة لا تتمنى لغيرها سوى البؤس والخراب. وهذا ما حلّ بلبنان.

«ليست إسرائيل السبب» ذلك خبر مفاجئ

فاروق يوسف
كاتب عراقي

في الجدل الدائر حول ما يُسمى بـ"التطبيع" كثرت المزايدات العاطفية في ظل عداء مقصود وموجه للحقائق الموضوعية. وكما يعرف المزايدون فإن كلامهم كما يُقال يمس شغاف القلب غير أنه في الوقت نفسه يعمي العين ويغلق بوابات العقل فتبدو المسألة كلها كما لو أنها رقص احتفالي في حلبة أعدت سلفا من أجل تسلية جمهور يُراد له أن يظل عاجزا عن التفكير في ما يدور من حوله فلا يقوى على الفهم باستقلالية وحرية.

في ذلك الخطاب المراوغ يبدو العالم واقفا عند نقطة بعينها. ذلك ما يخالف الواقع. فلا إسرائيل بقيت عند حدود المتخيل العربي القديم كيانا مؤقتا يمكن توقع زواله في أي لحظة ولا الفلسطينيون ازدادوا قوة وتماسكا ومنعة بمرور الزمن بما يؤهلهم للقيام بردع الكيان الغاصب وإملاء أجندتهم على العالم من أجل إحداث تغيير في المعادلات القائمة.

يمكنك أن تقول أي كلام خارج السياسة. كل فنون الحماسة ممكنة وهي طريقك إلى تضليل جمهور يعرف أن سبعين سنة من الخطابات لم تخرجه سنتمترا واحدا بعيدا عن الدائرة التي تحرك فيها أجداده وآباؤه الذين كانوا ينظرون إلى أرضهم السليبة بطريقة أكثر وضوحا. لقد بعدت الأرض فيما التبست طريقة التفكير فحلت العاطفة محل العقل وصارت الأغاني بديلا عن المعرفة.

ما يفعله أعداء التطبيع هو أسوأ بكثير مما يفعله المتهمون بالتطبيع.

صار جليا أن المطلوب أن تظل القضية أشبه بحلقة دراويش.

تدهورت الأحوال في العالم العربي. في الماضي كانت إسرائيل هي المتهمة بإدارة المؤامرة التي تستهدف إحداث خلل ما في النظام السياسي هنا وهناك. أما اليوم بعد أن سقطت الأنظمة كلها، وبعد أن باءت بالفشل ولم تحمها شعوبها فقد تم استبعاد إسرائيل من اللعبة.

إسرائيل لم تفعل شيئا. هل هي وجهة نظر واقعية؟

سيكون من الصعب استبعاد الحالة الفلسطينية من محيطها.

لقد سبق الفلسطينيون الجميع إلى النزاعات والتفكك والانهيارات وتمزق الصف الوطني بل يمكن القول إن التاريخ السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية هو مجموعة الانشقاقات التي وقعت والتي أدت إلى انفصال الواقع السياسي الفلسطيني عن الهدف الأساس للنضال السياسي أو المسلح على حد سواء.

سيُقال بقسوة إن الفلسطينيين اغتالوا ثورتهم. قاموا بما لم تتمكن إسرائيل من فعله. قول فيه الكثير من الإجحاف لما قدمه الفلسطينيون من تضحيات في طريق النضال غير أنه لا يخون في جزء منه الحقيقة.

ولو أن الفلسطينيين اجتمعوا ولو مرة واحدة لمراجعة ما فعلوه لما انتهت الثورة الفلسطينية إلى أن تكون منظمة التحرير التي سلمت نفسها للسلطة الفلسطينية في سياق مسلسل تاريخي لعب اليأس دورا عظيما في كتابة أحداثه.

لا يهم هنا أن نسأل "هل كانت إسرائيل حاضرة بشكل مباشر في ذلك المسلسل أم أنها اكتفت بتمثيل دور المراقب الذي ينتظر؟".

ما حدث أن الفلسطينيين فاجأوا العرب بحلمهم الذي وإن لم يُعجب الكثيرين غير أنه أخذ طريقه إلى الواقع. ذلك تحول كبير في مسار القضية الفلسطينية لم يكن مقبولا أن تُستعاد الشعارات التي سبقته.

لقد شق الفلسطينيون طريقهم إلى إسرائيل وحدهم.

هل يمكن إلزام الآخرين بما لم يلتزم به أصحاب القضية المباشرون؟

لقد طبع الفلسطينيون أحوالهم بما ينسجم مع الحوار الممكن مع إسرائيل. لذلك فإن اتهام الآخرين بالتطبيع هو أمر يدعو إلى السخرية. أما اللعب على مفردات صارت بحكم الاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي جزءا من الماضي فهو نوع من الابتزاز الذي يستعمل العاطفة في تفجير مشاعر البسطاء وتحريضهم بطريقة عدوانية كما لو أننا لا نزال نعيش فجر الثورة الفلسطينية.

ماذا لو كان هناك «عمادي» من الإمارات

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

كالعادة قوبل السفير محمد العمادي، رئيس اللجنة القطرية لإعمار غزة بالحفاوة ذاتها التي ظل يلقاها في كل مرة من حكومة "حماس" على امتداد زياراته إلى قطاع غزة المحاصر. ومع مرور الوقت أصبح وصول العمادي إلى غزة بالطريقة التي يصل بها، مبشرا وإغاثيا، ومقطوع الصلة بالسؤال عن فوائد هذه الزيارات لإسرائيل، التي لا شيء مجانيا عندها.

ربما كانت مرجعيات "حماس" الإخوانية – القطرية – التركية ترى في مهمات العمادي إنجازات تحسب لصالح العمل الجهادي أو الدعوي!

لسنا معنيين هنا، بدحض أو انتقاد فكرة الترحيب بالعمادي في غزة، طالما أن الفلسطينيين هناك يحتاجون لأي إغاثة أيا كان مصدرها. وطالما أن خط كهرباء إسرائيلي يمتد إلى غزة سيكون خيرا، لكننا مضطرون للتذكير بأن لكل منظار عدستان متجاورتان، يرى الناظر من خلالهما شيئا واحدا لا ينشطر إلى شيئين، بمعنى أن من تراه العدسة اليمنى محتشماً كامل اللباس، لا يكون عاريا من خلال العدسة اليسرى. ففي حال حدوث ذلك، نكون بصدد منظار مضروب على مستويْ السياسة والبصيرة!

قبل يومين كتبت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أن السفير العمادي أنهى لقاءاته الإسرائيلية وتوجه إلى غزة، ونقل الإعلام القطري نفسه عن قناة "ريشت كان" العبرية بأن العمادي يلتقي في كل زيارة كبار المسؤولين الإسرائيليين بينهم مئير بن شبات رئيس مجلس الأمن القومي، ويوسي كوهين رئيس الموساد ومسؤولين آخرين من دوائر أمنية مختلفة.

جاء في السياق ما يوحي بأن الزائر القطري يقوم بوساطة من الجنس نفسه الذي يقوم به الوفد الأمني المصري، وفي الوقت نفسه يحمل معه الأوراق النقدية التي سيتوجه بها إلى غزة. ثم قيل لاحقا إن الجانب الإسرائيلي استجاب جزئيا للوسيط القطري وقرر تخفيف الهجمات الجوية والعودة إلى ضخ الوقود القطري استجابة للعمادي أو تخوفا من انتشار كوفيد – 19 في غزة.

قيل بعدئذ، إن قيادة "حماس" في غزة، رفعت سقف مطالبها عن طريق العمادي وطالبت برفع الحصار أو البدء فورا في رفعه. في الحقيقة تتمسك حماس بمطالبها المحقة بحكم علاقتها بحياة السكان، مستأنسة بالموفد القطري.

فالعلاقات الإسرائيلية – القطرية أسرارها وعمقها وتأثيرها الساحر، ولا نقول ذلك تبريرا لعلاقات عربية أخرى مع إسرائيل، وإنما بهدف التنويه إلى قدرة الموفد القطري على فك الأحجيات وحل العقد الفرعية سريعا.

الأمر ذاته يستعصي على مصر بحجمها وعلى ما تمثله علاقاتها من الأهمية الإستراتيجية لتل أبيب، كذلك يستعصي على الموفد الأممي للسلام نيكولاي ملادينوف والموفدين الدوليين. فلم يمر سوى ثلاثة أيام على وجود وفد أمني مصري يحاول التوصل إلى اتفاق تهدئة جديد، لكن ذلك الوفد عاد إلى القاهرة سريعا لأن آليات ولغة تواصله مع الطرفين، تختلف عن لغة العمادي، علما بأن العلاقة بين مصر وإسرائيل رسمية ومعلنة بصفتها هذه، بينما العلاقة بين قطر وإسرائيل، لا يعرف لها أساس، وهي حمالة أوجه عميقة، استقرت على ثوابت وخلفيات غير معلنة، وبالطبع، ليس دعم المقاومة، من بين هذه الخلفيات والثوابت، ولا التمكين لمشروع إسلامي في المنطقة، ولن يكون من المتفق عليه، بالنسبة لقطاع غزة، إيجاد حلول جذرية لمصاعب الحياة اليومية للناس.

الفلسطينيون من جانبهم لا يملكون ترف الاشتراط بأن تكون الخلفيات السياسية والأمنية لما يصل من الدعم، نبيلة ومنزهة عن المقاصد التطبيعية، لكن المنطق والعدل والنزاهة تقتضي كلها المساواة بين الداعمين، فلا يكون طرف صاحب أياد بيضاء، عندما يقدم دعما، وطرف آخر يكون شيطانا ومتآمرا، لاسيما وأن التطبيع والعلاقات واللقاءات كلها تتشابه في ظاهرها، لكنها تختلف في جوهرها.

العلاقات القطرية–الإسرائيلية لا تزال أكثر عمقا، وفي كل زيارة للعمادي يتضح أن للدوحة دالة على إسرائيل أكبر مما لعاصمتين عربيتين في كل منهما سفارة إسرائيلية. الملاحظة هنا ليست موجهة إلى قيادة حماس في غزة، لأن هذه القيادة ليست صاحبة "الإنجاز" اللوجستي، وإنما هي المتلقية له على ما فيه من العوار.

وعندما ينقل الدعم المالي في حقائب تكون الطريقة نفسها مسيئة للفلسطينيين، لأن قوامها هو نقل المال بطريقة تشبه التهريب وتتحاشى العوائق المصرفية، بينما الأصل ألا تكون هناك عوائق مصرفية أمام المساعدات الاجتماعية. هنا يكون المعنى الموضوعي للنقل بهذه الطريقة، هو التأكيد على استثنائية الدعم وعلى عدم مشروعية نقل المساعدات الاجتماعية لغزة. هذا بحد ذاته مسيء للفلسطينيين.

والفضاء الإخواني – القطري – التركي، هو صاحب "الإنجاز" الإغاثي الظاهري، الشبيه بوجبات الطعام التي يقدمها السجان للسجين، لكي يظل حيا ويتعذب. ولو كان لدى القائمين على هذا الفضاء، شيء من سلامة القياس ومن تلازم العدستين في المنظار الواحد؛ لما اخترعوا الفارق بين تطبيع وتطبيع، بحيث تكون هناك علاقات حميدة ومباركة مع إسرائيل وعلاقات مرفوضة يتوجب شجبها. فلكل مشروع تطبيع، محركاته سواء في لعبة الأمم أو في نزاعات الإقليم أو في الأوهام الكثيرة التي ترى في إسرائيل سندا.

لا نقول ذلك، تبريرا أو تقبلا لأي تطبيع، وإنما رفضا لأن تهجم جماعة "الإخوان" بكل جحافل مواليها، على بلد آخر، هو على خلاف مع الدوحة، بسبب اقترابه من جنس العمل الذي تفعله الدوحة نفسها. فلا وصف لذلك سوى أنه نوع من النفاق والمتاجرة والاستهبال.

ولنا أن نتصور حجم النفاق لو ظهر في الأفق "عمادي" آخر، يكون هذه المرة إماراتيا. صحيح إنه لن يمتلك مهارة أخيه العمادي القطري، ودرايته بدروب إسرائيل ودلاله في تل أبيب، ولكنه سيكون في قلب نوع الفعل ذاته ما يقتضي احترام عقول الناس والكف عن مهاجمته.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al–Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk